

# أمساً واليوم وإلى الأبد

يسوع المسيح هو هو أمماً واليوم وإلى الأبد ، ( عب 13: 8 )

عظة للدكتور كلارنس ادوارد ماكارتيني

تعريب الأخ واصف عبد الملك



(18 Sep 1879 - 19 Feb 1957 (aged 77))

Rev Clarence Edward Macartney

كانت الساعة السابعة والدقيقة السابعة والعشرين في صباح الخامس عشر من أبريل عام ( ١٨55 ) ،  
والجئة مسجاة على السرير في البيت في الشارع العاشر ، حيث وقف وزير الدفاع ( إدوين سترانتون  
( ليقلل النواذ ثم التفت إلى الجئة الهامدة وقال : " والآن هو ملك الأجيال " .

كانت هذه الجملة هي تاريخ حياة ( إبراهيم لنكولن ) وهي أقصر بل أجمل تاريخ حياة رجل عظيم  
أجل هناك واحد هو الذي تنطبق عليه هذه الكلمة الذي هو خاصة التاريخ بل التاريخ خاصته إنه  
يسوع المسيح الذي " هو هو أمساً واليوم وإلى الأبد " .

توجد آيات في الكتاب لا تبرح ذاكرة الواعظ إلا أنها تجعله مرتاعاً وهي أعظم من أن يعظ منها  
وفي الوقت ذاته أعظم من أن يتركها. وهذه الآية منها. فإذا نطقت بها فإنك تضرب على أوتار رخيمة  
تتردد منها موسيقي شجية عن خليفة الله و إعلاناته و فدائه واليوم الذي ترنمت فيه الكواكب معاً

ورؤساء الآباء وصحبة الأنبياء وجيش الشهداء النبلاء ومحفل الرسل والأمجاد وموسيقى ذلك اليوم عندما تصير مالك العالم للرب ولمسيحه. فوق الجبل الذي يطل على مدينة إنطاكية هناك مغارة تاريخية يقال إن المسيحيين الأولين تعودوا أن يجتمعوا فيها وكان يعظم بطرس الرسول . والواقف قدام هذه المغارة يمكن أن يرى تحتها المدينة بمساجدها ومآذنها وأسواقها و الأشجار الباسقة والسواقي تدور بطيئة و أغصان الشجر تمايل في نسيم العصر العليل البليل ونهر الأورونت تجرى مياهه الباردة من مساقط الثلوج من الجبلية و تنساب مياهه داخل المدينة وفوقه عدد من القناطر . وهذا النهر يتغير لونه من ساعة إلى أخرى ومن يوم إلى آخر ومن سنة إلى أخرى ومن جيل إلى جيل مثل البشرية التي عبرت هذه القناطر من أيام يوحنا فم الذهب إلى الساعة الراهنة . أما الجبل الذي يطل عليها فهو هو بعينه كما كان في أيام بطرس والتلاميذ الأولين لما كانوا يجتمعون في إنطاكية لكسر الخبز وتسييح اسم فاديهم . هكذا المسيح يطل على مجرى التاريخ البشري الذي يتغير دائماً أما هو فهو هو أمساً واليوم وإلى الأبد.

### **إن الفكرة الرئيسية في سفر العبرانيين هي المسيح غير المتغير.**

فالكاتب أول كل شيء يقارن المسيح بالسكون المتغير فيقول : « هي تبدي ولكن أنت تبقى وكلها كثوب تبلى و كرداء تطويها فتتغير ولكن أنت أنت وسنوك لن تفنى ، ( عب ١ : ١١ - ١٢ ) ومرة أخرى يقارن المسيح كفاد غير متغير ، بذبيحة الخطية التي كان يتناوب عليها رؤساء الكهنة داخل الحجاب في الهيكل حيث يرشون الدم على كرسي الرحمة. لكن المسيح هو الكاهن الأبدي الذي بروح أزلى قدم نفسه على الصليب مرة واحدة وإلى الأبد ليحمل خطايا كثيرين.

ومرة أخرى قارن الكاتب الممالك المتزعزعة بالملكوت الذي لا يتزعزع ثم يقارن صداقات هذه الحياة التي يعتريها التبدل والتحول مع صداقة المسيح الثابتة ومحبتة ورعايته وصحته . ثم يسرد لنا تاريخ أبطال الإيمان من هابيل إلى صموئيل وداود . وهؤلاء جميعهم خدموا جيلهم وغابوا عن الأنظار . وفي تلك المناسبة كان المسيحيون قد فقدوا الكثير من أصدقائهم وأحبائهم ممن بشروهم بكلمة الله - ولا شك إن البعض منهم قد استشهدوا . ولهذا يوقع الرسول على أوتار الموسيقى العذبة بكلمات هذه الآية : " يسوع المسيح هو هو أمساً واليوم وإلى الأبد " .

كان المبشرون في أيام رواد المستكشفين ينتقلون من مكان إلى مكان على ظهور الخيل فكانت تعترضهم أنهار ومجاري مياه . ولم تكن هناك قناطر للعبور أو قوارب . فإذا ما نظروا إلى المياه الهائجة في الأنهار اختل توازنهم وسقطوا من على ظهور الخيل فتجرفهم المياه ، لكن إذا ثبتوا عيونهم في شجرة من أشجار البطم على الشاطئ الآخر أو قمة من قمم التلال فإنهم يعبرون الأنهار بأمان . وها هنا نجد آية تنفعا في وقت مضطرب بل عالم مضطرب بل نفس مضطربة و في وسط الطوفان الهائج بل في وسط الزمن الذي يسوده القلق لنرفع عيوننا إلى المسيح الأزلي الأبدي الذي لا يعتريه تغيير ولا ظل دوران في شخصه وتعاليمه وعمل الفداء الذي أكمله .

### المسيح غير متغير في شخصه

" هو هو أمساً واليوم وإلى الأبد " كل ما في المسيح اليوم كان بالأمس وكل ما كان بالأمس هو اليوم، وكل ما سيكون غداً هو اليوم وكل ما هو اليوم سيكون إلى الأبد.

" هو هو أمساً " إلى أي مدى تعود! قبل أن تولد الجبال بل قبل أن تصور الأرض والعالم كان المسيح هو هو كان هو هو " عندما ترنمت كواكب الصبح وهتف جميع بني الله " (اي 38: 7) معاً كان هو هو حينما " رأى ابراهيم يومه وفرح " وحينما كتب موسى عنه كان هو هو ، عندما وقف بلعام النبي المرتد الفصيح وصرخ على قمة جبل موآب : " أراه، ولكن ليس قريباً يبرز كوكب من يعقوب ويقوم قضيب من إسرائيل فيحطم طريقي موآب ويهلك كل بني الوغى ، وكان هو هو عندما وقع داود الأناشيد على قيثارته عن ملكوته الأبدي . وكان هو هو عندما رسم إشعياء تلك الصورة النادرة عن آلامه وانتصاره . وكان هو هو عندما وقف النجم فوق بيت لحم، وكان هو هو عندما تجلى فوق الجبل في بهاء مجده ، وعندما أسلم وأحتقر وضُفر على جبينه إكليل الشوك ورُفع على خشبة الصليب بين لصين وكان هو هو عندما قام من بين الأموات، و صعد إلى السموات ، وسكب الروح القدس على الكنيسة وكان هو هو عندما رآه استفانوس واقفاً عن يمين الله . وكان هو هو عندما أعلن محبته الفدائية لبولس ويوحنا وبطرس ويوحنا فم الذهب و أوغسطين وكالفن ولوثر وهو يتقيلد واسبرجون ومودي وغيره ، وكان هو هو عندما أخبرك أبوك وأمك عن محبته ، وكان هو هو عندما سلمته قلبك في شبابك. هو هو اليوم ما كان بالأمس و هو هو الأمس ما هو اليوم .

## المسيح غير متغير في تعاليمه

إن أعظم الأسئلة التي تحتاج إلى إجابة في صدر الإنسان ثلاثة : ماذا أستطيع أن أعلم ؟ وماذا ينبغي أن أعمل ؟ وماذا أستطيع أن أرجو ؟ في المسيح الجواب على كل هذه .

**ماذا أستطيع أن أعلم ؟** أستطيع أن أعرف الله الذي في معرفته الحياة الأبدية.

**ماذا ينبغي أن أعمل؟** ينبغي أن أعمل مشيئة الله و أتبع خطواته.

**ماذا أستطيع أن أرجو ؟** أستطيع أن أرجو الخلود السعيد المجيد وراء دائرة الخطيئة بعيداً عن الحزن والموت.

والمسيح كمعلم لا يعترضه أي تغيير. وهذا عكس المعلمين الأرضيين والنظريات الأرضية. وكم من نظريات وفلسفات و اعتقادات كان يتمسك بها الناس بالأمس صارت أضحوكة اليوم . لكن المسيح لا يتغير أبداً . قل لى أى قول أو وصية نطق بها وعفا عليها الدهر . هل تحتاج إلى تنقيح أو تعديل؟ " أبانا الذي في السموات ليتقدس اسمك " .. " اغفر لنا ذنوبنا كما نغفر نحن أيضاً للمذنبين اليانا " ، " ولا تدخلنا في تجربة " ولا تدينوا لكي لا تدانوا " " مغبوط هو العطاء أكثر من الأخذ " . " وطوبى لأنقياء القلب لانهم يعاينون الله " أي كلمة من هذه الكلمات تحتاج إلى تصحيح اليوم ؟ لقد وقف المسيح متحدياً تغيير الأزمنة والأوقات. وتعاليمه التي نطق بها في كفر ناحوم هي هي بعينها في ألوف المدن اليوم ، و تعاليمه التي نطق بها في أورشليم هي هي بعينها في لندن ونيويورك. وتعاليمه التي نطق بها على شواطئ الأردن هي هي بعينها على شواطئ، نهر التيمز ونهر هدسون ، وطالما أن للقلب أشواقه وللحياة ويلاتها فإن كلمات يسوع هي البلسان الناجع لنفس الإنسان " تزول السماء والأرض ولكن كلامي لا يزول " .

لما رآه يوحنا في جزيرة بطمس في تلك الرؤيا العظيمة ، في وسط السبع المنابر الذهبية ، والسبعة الكواكب في يمينه ، ووجهه كالشمس في قوتها وسقط كميته عند رجليه أقامه يسوع وقال له : لا تخف أنا هو الأول والآخر والحي وكنت ميتاً وها أنا حي إلى أبد الأبدين آمين ، ولى مفاتيح الهاوية والموت، واليوم نرى البشرية المعذية المكافحة المتألّمة تتطلع إلى من بيديه المفاتيح صارخة : " من يرينا خيراً " . فالتعليم لا يملك المفاتيح مع أننا كنا قبلاً نظن أنه يملكها، اقد أنفقت كل دولة مالا

يحصى ولا يعد على التعليم ، وشيدنا كلية على كل رابية ، ومدرسة تحت كل شجرة خضراء ، ومع هذا فإن الجرائم التي ترتكب كل عام لا حصر لها ومعظم مرتكبي هذه الجرائم هم الشباب الناشئ .. فالتعليم إذن لا يملك المفاتيح .والعلوم لا تملك المفاتيح مع أننا كنا نظن قبلا أنها تملكها لدرجة أن الناس كادوا يسجدون أمام مذبج العلوم متوسلين لها أن تفك أغلالهم وتكسر قيودهم وتفتح عيونهم . أما الآن فإن العالم يقف مندهشاً فيما يستطيع العقل البشري أن يخترع في الغد من آلات التدمير و الخراب الذي ينهمر فوق رأس البشر. العلوم إذن لا تملك المفاتيح.

وزعماء السياسية لا يملكون المفاتيح لأنهم بشر تحت الآلام مثلنا شأنهم شأننا. لكن المسيح وحده له المفاتيح ، وها إننا نسمع صوته اليوم كما كان قديما عندما يواجه الشعوب الراححة تحت أثقالها قائلاً : " أنا هو الحي وكنت ميتا ... ولى المفاتيح... لأنني أنا هو الطريق والحق والحياة " .

### المسيح غير متغير في فداه

إن الصليب هو الحقيقة الأزلية لأنه ينظر إلى خلف إلى المسيح حمل الله الذي يرفع خطية العالم . كما أن الصليب هو الحقيقة الأبدية لأنه ينظر إلى الأمام لأن الروح القدس يسطر أن السماء المفتوحة تبين لنا أن الترنيمة التي ترسل أنغامها الشجية محورها: " الذي أحبنا وقد غسلنا من خطايانا بدمه ... له المجد والسلطان إلى أبد الآبدين ، ، الكثير من الناس ينظرون إلى المسيح كمعلم وكمثال للأدب العالية وكمعلم اجتماعي ويسقطون من حسابهم وظيفته الرئيسية كفاد . لكن منذ وضعت ثقتي في هذا الفادي المجيد وسلمته وديعتى إلى ذلك اليوم وجدت فيه المخلص العجيب الذي بذل نفسه على الصليب من أجلى وأجلك الذي نقش اسمي على كفيه ، الذي تتصاعد له تسابيح المجد والجلال من أفواه الرسل والقديسون والشهداء الذي أدخل حلبات السباق من المشاهدين المصفقين الذي قلب المذابح في الهياكل الوثنية ، وكسر سلال الأسري ، الذي رفع مكانة المرأة لتكون زوجة كريمة للرجل بعد أن كانت من سقط المتاع ، الذي أبدع منطقة من الرحمة حول عجز الطفولة، الذي أوحى بترنيمة الشكر والمحبة يترنم بها أتباعه في كل العصور والأجيال ، أضرم نار المحبة المقدسة بين ضلوع أحبائه قائلين: " حبيبي لي وأنا له " الذي بدأ بمحافل العابدين يسلكون في الدروب المتعرجة ويقطعون السهول والتلال في صباح يوم الرب نحو الكنيسة ليؤدوا له الشكر والتسابيح والعبادة.

**ومن ذا الذي يمكن أن يخبرني إلى أين أن أذهب ؟** إنني أذهب بادىء ذي بدء إلى الطغيمات النورانية السماوية إلى أرئيل ملاك النور الواقف في الشمس وإلى رفائيل ملاك الإدراك ، وإلى ميخائيل بسيفه المسلول، وإلى جبرائيل ملاك الترنيمة المقدسة وأقول لهم : أيها الملائكة الأطهار هل المسيح الذي تغطون وجوهكم أمام مجده صارخين : قدوس قدوس قدوس ، هو هو الذي أضع ثقتي واتكالي عليه ؟ فيجيئون تصاحبهم كل الموسيقى السماوية بصوت كصوت مياه كثيرة قائلين : « إنه هو وحده ! » ، ثم أذهب إلى إبراهيم وموسى وأقول لها: يا إبراهيم أب المؤمنين يا من رأيت يوم المسيح وفرحت ، وكان تقديم ابنك إسحق على الجبل رمزاً لموته على الصليب وموسى الذي كتبت عنه ، هل أضع ثقتي واتكالي عليه ؟ فيردان علىّ بنفس واحدة : إبراهيم من جبل المريا وموسى من جبل سيناء : " إنه هو وحده ! " ثم أذهب إلى داود وأقول له : يا داود يا أكبر خاطئ، وأكبر قديس في العهد القديم ، هل المسيح الذي قلت عن ملكوته إنه ملكوت أبدي يمتد من البحر إلى البحر ومن النهر إلى أقاصى الأرض هل هو الذي أضع ثقتي و اتكالي عليه ؟ فيرد علىّ بموسيقى المزامير و بكل وتر في قيثارته العذبة قائلاً : " إنه هو وحده ! " وإلى من غير هؤلاء أذهب ؟ أذهب إلى إشعياء وأقول له : " يا إشعياء يا من تنبأت عن آلامه وانتصاراته وكتبت عنه إنه مجروح من أجل معاصينا مسحوق من أجل آثامنا وقد أحصي مع أثمة ولكنه يقسم مع الأقوياء ومن تعب نفسه يرى ويشبع ، هل أضع ثقتي واتكالي عليه ؟ " فيرد علىّ إشعياء ببلاغته السماوية قائلاً : " إنه هو وحده ! " وأذهب إلى يوحنا المعمدان وأقول له : أيها المهية العظيم لطريق الرب هل المسيح الذي رأيته في أيامك وقلت عنه : " هوذا حمل لله الذي يرفع خطية العالم " هل هو الذي أثق فيه و أكل عليه أن يرفع خطيتي ؟ فيرد علىّ بصوته المجلجل في البرية ويقول : " إنه هو وحده ! " واذهب إلى بولس وأقول له : " يا بولس هل المسيح الذي اضطهدته وكنت تنفت تهديداً وقتلاً على تلاميذه ، الذي تقابل معك يوماً ما وأنت في طريقك إلى دمشق وقال لك : " لماذا تضطهدينى ؟ " وغَيْرِكَ من أكبر عدو له إلى أكبر حبيب ، ذاك الذي من أجله حسبت كل شيء خسارة ، الذي أيقنت أنه قادر أن يحفظ وديعتك إلى ذلك اليوم ، بل الذي وقف معك إلى آخر لحظة في سجن روما. هل يجدر بي أن أسلمه وديعتي إلى ذلك اليوم ؟ " فيرد على بولس ببلاغته التي لا نظير لها قائلاً : " نعم إنه هو وحده. ! "

واذهب إلى يوحنا وأقول له . " يا يوحنا التلميذ الذي كان يسوع يحبك، يا من كنت تتكىء على صدره وقت العشاء ، يا من قلت إن دمه يطهر من كل خطية ، هل يجدر بي أن أتكيء على صدره أنا الآخر واثقاً بحبه ؟ فيرد على يوحنا بكل أصداء النبوات المدونة في سفر الرؤيا قائلاً : " نعم إنه هو وحده ! " ثم أذهب إلى بطرس وأقول : " يا بطرس هل يسوع الذي اعترفت بأنه ابن الله الحي الذي في ساعة محاكمته أنكرته قدام الجارية ولكنه التقت ونظر إليك نظرة العطف والغفران فخرجت خارجاً وبكيت بكاء مرا . هل هذا المسيح الذي كثيراً ما أنكرته أنا مثلك ، لكن في شفقتة ونظرته الفدائية الملائة بالمحبة قد رأيته أنا أيضاً ، هل هو الشخص الذي أثق في نعمته التي تعيدني إلى الشركة المقدسة معه ؟ " فيأتي إلى صوت بطرس بنبرته عينها التي لا تضيع أبداً وسط الخطاة و القديسين والملائكة ورؤساء الملائكة ويرد على قائلاً : " نعم إنه هو وحدها ! " ثم أذهب إلى اللص فوق الصليب وأقول له : يا من كنت تعير المسيح منذ لحظة وهو معلق بجوارك على الصليب ثم تبت وقلت له : " اذكرني يارب متي جئت في ملكوتك ! فأجابك : " اليوم تكون معي في الفردوس : " هل أوّمن أنه في يوم من الأيام يقول لي أنا أيضاً : " اليوم تكون معي في الفردوس ؟ " فيرد على اللص بصوت لا يصدر إلا من المفديين: " نعم إنه هو وحده ! " .

إنني أترك جميع الأجيال خلفي وأسأل كل المفديين الذين غسلوا ثيابهم و بيضوها في دم الحمل، الذين ترتفع أصواتهم بالترنيم على البحر الزجاجي المختلط بالنار وأسأل : " هل المسيح الذي تسبحون له هو الشخص الجدير بامتلاك حياتي ونسماتي الذي ينقذني من القبر ؟ " وفي نغمات الترنيمة الجديدة الخالدة يردون على قائلين : " مستحق هو الحمل المذبوح أن يأخذ القدرة والغني والحكمة والقوة والكرامة والمجد والبركة " هذا هو الغالب الأزلي . وعندما تبشر به تبشر الأزل والأبد . هذا المسيح الذي هو لك ولي و هو هو أمساً واليوم وإلى الأبد . هذا المسيح الذي هو الأمل . اسمع ما يقول : لا أذكر خطاياهم و تعدياتهم فيما بعد، " كبعد المشرق عن المغرب أبعدنا معاصينا " وإن كانت خطاياكم كالقِرْمِزِ تبيض كالثلج . إن كانت حمراء كالوددي تصير كالصوف " وهو هو اليوم أيضاً . هو المسيح ليومك مثل أمسك . لك من المخاوف والأحمال وخيبة الآمال ووحشتك وأحزانك و ضعفاتك وشوكاتك في الجسد أو في الروح الشيء الكثير . لكن هوذا المسيح لهذا اليوم . هو قادر " الق على الرب همك " . " تعالوا إلى يا جميع المتعبين ... وأنا أريحكم " . .

وهو هو إلى الأبد . هو المسيح للغد أيضاً. من يستطيع أن يقول لنا ماذا يحمل الغد في طياته ؟ عبثاً نحاول أن نرفع الستار الذي يحجب عن أنظارنا رؤية الغد، ذلك الغد مخبوء عنا ، لكن مهما يأت به الغد ، وإلى أي مكان يحملنا الغد، في تلك المنطقة المجهولة فإننا نستطيع أن نعبر بسلام و أمان لأنه سيكون هناك للقائنا إذ يقول : " لا أهمك ولا اتركك ". "وها أنا معكم كل الأيام " هناك فقرة أتجاسر وأضعها بجانب هذه الآية العظيمة لأنها كانت في فكر الكاتب ولو أنه لم يكتبها وهي : "من أجلي " هل تستطيع أن تطبق هذه الآية على نفسك اليوم بل الآن وتقول: يسوع المسيح هو هو أمساً واليوم وإلى الأبد ". "ومن أجلي ؟".

---

منقول مع التنقيح والتنسيق من كتاب ( أعظم الآيات ) لسنة 1980

الرب يستخدم هذه العظة لمجد اسمه وخلص النفوس

صفوت زكي سمعان

